المحاضرة الخامسة

الحضارة الإغريقية: تاريخ اليونان– الآداب والفلسفة والفنون

تمهيد

الإغريق ويعرفون أيضًا باليونانيين، قوم شهدت بلادهم، اليونان، ولادة حضارة عريقة منذ ما يقرب من 2500 ق م، وقد نشأت هذه الحضارة وساهمت وأثّرت كثيرا في غيرها من الأمم والحضارات الأخرى لتصبح بعد ذلك المنطلق الرئيس لحضارات أخرى[1]. وتميزت بالعديد من المميزات والملامح التي تميزها عن غيرها. وما تزال الإنجازات الرائعة للإغريق القدماء في ميادين الحكم والعلم والفلسفة والفنون تؤثر في الحياة حتى اليوم، لاسيما في الحضارة الأوروبية الحديثة التي استمدت منهم الكثير من ثقافتها.

تطوَّرت حضارة الإغريق بشكل رئيسي فيشكل مدن مستقلة تناثرت في أرجاء وجزر وشواطئ البحر الأبيض المتوسط، وكانت كل من هذه المدن تتمتع بالاستقلال السياسي التام، وعلى هذا فإن الوطنية اليونانية مدنية وليست قومية، فجوهر المدينة هم المواطنون (الديموس)، فلم يشر في كتابات اليونان الرسمية إلى أثينا أو إسبارطة أو الجمهورية الأثينية أو الجمهورية الإسبارطية، وإنما اقتصر على استخدام الأثينيين و الإسبارطيين والشعب الأثيني.."[2]

لم يُقدَّرْ للمدن . الدول الإغريقية أن تتوحد في أمة واحدة بالرغم من وجود لغة عامة وديانة وثقافة كانت تربط بين السكان. والمتتبع لكيفية نشوء النظام السياسي اليوناني يلاحظ أن أفلاطون "يقرر أن مدينته المثالية تظم (5.000) مواطن، كما أن أرسطو يقرر أن كل مواطن ينبغي أن يكون في إمكانه معرفة جميع المواطنين الآخرين لا في شكلهم الخارجي فحسب بل في أخلاقهم وفي طريقة وأساليب حياتهم... ويضيف: أن البوليس (المدينة Polis) ذات العشرة مواطنين تعتبر مستحيلة لأنها لا يمكن أن تكون مكتفية اكتفاء ذاتيا، وأن البوليس ذات المائة ألف مواطن تعتبر شاذة ومثيرة للسخرية لأنها لا تستطيع أن تحكم نفسها حكما حسنا"[3].

---

[1]– محمد خريسات وآخرون، تاريخ الحضارة الإنسانية، ص100.

[2]– المرجع نفسه، ص101.

[3]– المرجع نفسه، ص101

وقد سَمّى الإغريق أنفسهم بالهيلينيين، وأراضيهم باسم هيلاّس. وكانوا يعتقدون أنهم مجموعة مختلفة عن غيرها من الشعوب الأخرى، التي كانوا يطلقون عليها اسم البرابرة (الهمج).

واهتم الإغريق بحريتهم وطريقة حياتهم التي أكدت على أهمية الفرد، وشجعت الأفكار الإبداعية. وأوجد المفكرون الإغريق أسسًا للعلم والفلسفة؛ وذلك عن طريق البحث في التفسيرات المنطقية لما يحدث حولهم في العالم. وابتدع الكتاب أشكالاً جديدة للتعبير، تستكشف الشخصيات والعواطف الإنسانية. وصلت الحضارة الإغريقية ذروتها في أثينا في منتصف القرن الخامس قبل الميلاد. وعرفت هذه الفترة بالعصر الذهبي.

عالم الإغريق

تتكوّن أراضي الإغريق القديمة بشكل رئيسي من شبه جزيرة جبلية ذات نتوء في البحر المتوسط، ومن جزر متجاورة،والشاطئ الغربي من آسيا الصغرى (تركيا) الآن. وهي تفصل بين ذراعين للبحر المتوسط هما: بحر إيجة والبحر الأيوني. ويصل شريط رفيع من الأرض الجزء الجنوبي بالشمالي الرئيسي من البلاد ويسمى هذا الشريط البلوبونيز.

تغطي الصخور معظم الأراضي الإغريقية القديمة حين توجد أكثر الأراضي الخصبة في الوديان الصغيرة وعلى طول الساحل. وفيها أسّس الإغريق الدول المستقلة. عملت كل مدينة أو قرية في الدول . المدن مركزًا للتجارة والحكومة والدين. وكان الإغريق، عادةً، يقومون بتحصين تلة مرتفعة تسمى الأكروبوليس*،داخل المدينة أو قريبًا منها لتكون حصنًا. بالإضافة إلى ذلك، كانت الأسوار تحيط بالمدن لحمايتها من الغزاة. وفي مركز كل مدينة، كانت توجد الأجورا*، وهي مساحة من الأرض للتسوّق والاجتماعات العامة وغير ذلك. كان لبلاد الإغريق القديمة مناخ دافئ جاف وكان صيفها حارًا. أما الشتاء فكان من النادر أن تنخفض درجات الحرارة فيه إلى ما دون الصفر. يتراوح المعدل السنوي للأمطار بين 50 و130 سم. كانت بلاد الإغريق تفتقر إلى الأرض الزراعية

*– الأكروبوليس: وهو معبد يوناني قديم يقع في العاصمة اليونانية أثينا على قمة تل، يعد من أشهر المعابد اليونانية القديمة وكلمة أكر وبوليس Acropolis كلمة يونانية قديمة تعني المدينة العالية، وقد اعتاد اليونانيون القدماء لبناء أكر وبوليس لكل مدينة ذات أهمية، وكان الأكروبوليس في أثينا له الشأن الأعظم من بين جميع المعابد في المدن اليونانية القديمة، وفي حالة الغزو الخارجي كان اليونانيون يتخذون الأكروبوليس قاعدة حصينة يقاومون القوات الغازية حتى النهاية

*– الأجورا: وهي السوق، كانت تكتظ بالناس، وتمثل مركز نشاط للمدن الإغريقية القديمة. ففي أغورا أثينا (سوق) كان الأهالي، يناظر بعضهم بعضا في قضايا الساعة، وكان الأصدقاء يلتقون ويتبادلون الأحاديث.

الكافية، والمطر والمياه اللازمين للري. وكان إنتاج المحاصيل محدودًا. وفّرت الجبال كميات ضخمة من الحجر الجيري والرخام للبناء،وكذلك الغرين الذي استخدم لصناعة القرميد والخزف. أما المعادن فكانت قليلة، وكانت الأخشاب متوافرة أولاً، ثم أخذت الغابات في الانحسار نتيجة قطع الناس لأشجارها.

الديانة عند اليونان

ديانة وثنية مبنية على الشرك، أي تعدد الآلهة، حيث اعتقد اليونان بأرباب كثيرة، حيث اعتقدوا أن كل قوة في الطبيعة من هوائها وشمسها وبحرها هي قوة إلهية، "وينسب الإغريق إلى آلهتهم صفات البشر، واختص كل إله بظاهرة طبيعية أو بأمر خاص من أمور الكون، وتؤثر الآلهة في مصائر البشر، فكان الإله (زوس) أبا الآلهة حاكم السماء والجو، وللإله (بوزيدون) البحر، ول (أبولو) الشمس، و(أفروديت) إلهة الحب وتعنى الآلهة بشؤون الأفراد الذين يقدمون لهم الخضوع والقرابين"[1]

الرياضة

كان رجال الإغريق يستمتعون بمحادثة أصدقائهم بالأجورا (الأسواق)، أو خلال احتفالات الشراب، وبحضور الاحتفالات والمباريات الرياضية التي كانت تحتدم فيها المنافسات في المصارعة والملاكمة والجري وسباق الخيل والقفز ورمي الرمح، وغير ذلك من الألعاب العديدة التي كان الفوز فيها شرفًا كبيرًا يناله الرياضيون." فقد كانوا يقومون بالألعاب يشترك بها جماع أبناء يونان و يحضرونها وذلك في أربعة أماكن من البلاد اليونانية وتدعى الألعاب الأربعة العظيمة وأخص تلك الألعاب ألعاب أولمبيا يحتفل بها كل أربع نسن إكراما للمعبود زيوس"[2]

الفلسفة والفنون والأدب

نشأت الفلسفة في بلاد الإغريق القديمة خلال القرن السادس قبل الميلاد. وكلمة فلسفة تعريب للكلمة (فيلوسوفي) الإنجليزية التي تنحدر إلى كلمتين إغريقيتين تعني حب الحكمة .أثار الفلاسفة العديد من الأسئلة التي يمكن اعتبارها اليوم موضوعات للبحث والدراسة. فَكَّر الفلاسفة

[1] –طه باقر: مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، شركة دار الوراق للنشر المحدودة، بغداد، العراق، 2011، ص 608.

[2]– شارل سنيوبوس، تاريخ حضارات العالم، ص 78–79.

في جوهر الكون وكيفية عمله، ثم ناقشوا فيما بعد طبيعة المعرفة، والحقيقة، وبحثوا كثيرًا،بغية تحديد الخير والشر.

اعْتُبر كلّ من سُقْراط وأفلاطون و أرسطوطاليس أكثر الفلاسفة أهمية. ودروس سقراط، كانت تنصبُّ على مساءلة مستمعيه بدقة؛ لإظهار ضعف آرائهم وحججهم، بينما تناول أفلاطون موضوعات مثل الجمال، والعدالة، وحسن الحُكم. لخص أرسطوطاليس إنجازات الفلسفة والعلم.

كان القسم الأكبر من أبناء الشعب الإغريقي يكتنفهم الشك حيال الفلاسفة ونظرياتهم، وبالرغم من هذا، فإن الخرافات والأساطير باتت تحظى باعتقادهم. وفي عام 399 ق.م، قضت هيئة من المُحلفين الأثينيين على سقراط بالموت؛ لأنه أبدى استخفافه بآلهتهم المزعومة.

العلم

اعتقد العلماء الإغريق، شأنهم في ذلك شأن الفلاسفة، بوجود عالم يخضع لنظام، ويعمل وفقًا لقوانين يمكن اكتشافها. وقد بُني العديد من النظريات العلمية على المنطق والرياضيات. واستنتجوا الكثير من الملاحظات الدقيقة للطبيعة، وحققوا بعض الاكتشافات محدودة التأثير في التقنية والحياة اليومية.

قال ديموقريطس في القرن الخامس قبل الميلاد: إنَّ كُلَّ الأشياء تتكون من ذرات، وهي أصغر جزء في المادة لا يمكن أن ينقسم. وكان أريستاركوس، في القرن الثالث قبل الميلاد أول من قرر أن الأرض تدور حول الشمس. إلا أن معظم المفكرين الإغريق ظلوا على اعتقادهم بأن الشمس والنجوم والكواكب السيارة تدور حول الأرض.

الفنون

قَدّم المعماريون والنحاتون والمصورون مساهمات مهمة للفنون. وناضلوا لإيجاد تَصور للجمال يستند على التناسب المتناسق. وكانت المعابد أكثر الأعمال المعمارية أثرًا؛ لأن المعبد يتكون من أعمدة متسقة محيطة بقاعة طويلة داخلية.

طوّر الإغريق ثلاثة نماذج للأعمدة؛ النموذج الدوري البسيط، والأيوني* الجميل، والكورنثي المزخرف. وكان أفضل المعابد التي تم بناؤها في الأكروبوليس بأثينا في القرن الخامس قبل

*- الدوري و الأيوني والكورنثي: هي النظم الثلاثة في العمارة اليونانية القديمة.

الميلاد. صوَّر النحاتون أشكال آلهتهم وإلهاتهم والكائنات البشرية، ثم تزايدت أعمالهم عبر القرون، ومن أشهرهم فيدياس*، وبراكسيتيليس*، وليسبوس، وميرون.

بقي عدد قليل من اللوحات الفنية، وقد زودتنا الرسوم على الفخار، وكذلك الكتابات الإغريقية، والنسخ التي صنعها الرومانيون بمعلومات رئيسية عن الرسم الإغريقي. وتصور الرسوم الفخارية والنسخ الرومانية أشكالاً من الأساطير والحياة اليومية.

رافقت الموسيقى في الغالب المسرحيات والقصص الشعرية في بلاد الإغريق. وكان الموسيقيون يعزفون المعزوفات الموسيقية في الاحتفالات والاجتماعات الخاصة. واعتمدت تلك الموسيقى، وبشكل رئيسي، على اللحن والإيقاع.

الأدب

قدم الكُتاب الإغريق العديد من الأشكال الأدبية، بما فيها القصيدة، وشعر الملاحم، والمسرحيات المأساوية والهزلية، والتاريخ.

الشعر الملحمي: كان الشعر الملحمي أول شكل مهم من أشكال الأدب الإغريقي. والملاحم قصائد سردية طويلة تحكي في معظمها الأعمال البطولية للكائنات السماوية أو الأرضية. من ذلك القصيدتين المنسوبتين لأبرز الشعراء الإغريق لهوميروس: الإلياذة التي ذكرت فيها حروب اليونان ورجولية آشيل أمام طروادة، والأوديسة التي جاءت فيها حوادث عولس بعد سقوط طروادة، هاتان القصيدتان هما اللتان أذاعتا في أطراف العالم أجمع سقوط مدينة طروادة..."[1] ، وكان ذلك خلال القرن الثامن قبل الميلاد. وتتحدث الإلياذة عن حرب طروادة التي ربما حدثت حوالي عام 1250ق.م. أما الأوديسة فتروي مغامرات البطل الإغريقي أوديسيوس وهو عائد إلى وطنه بعد سقوط طروادة. وقد تطوّرت الملاحم من تقليد قديم من الشعر الشفوي امتد خمسمائة عام. وكانت القصائد مبنية على قصص أنشدها مغنون محترفون على أنغام آلة موسيقية وترية اسمها القيثارة . وتؤكد الإلياذة والأوديسةعلى مُثُل الشرف والشجاعة .وكان لهما أثر كبير على الثقافة الإغريقية، وعلى التعليم والأدب الإغريقيين.

---

*– نحات أثيني عاش بين عامي 490 – 430 تقريبا قبل الميلاد

* – براكسيتيليس*، وليسبوس، وميرون: نحاتون يونانيون.

[1] – شارل سنيوبوس، تاريخ حضارات العالم، ص63.

الملحمة التعليمية: كان هسيود مؤسس الملحمة التعليمية، وهو أول شاعر إغريقي رئيسي بعد هوميروس .كتب هِسّيود في القرن السابع قبل الميلاد. وفي قصيدته الثيوغونيا* أصبح هسيود أول كاتب ينظم الميثولوجيا (الأساطير) الإغريقية ليجعلها نظامًا فلسفيًا شاملاً .وتصف قصيدة هسيود الأخرى أعمال وأيام حياة الفلاحين الإغريق الشاقة وحسن تدبيرهم وحصافة رأيهم. وتبين القصيدة أن مثل هوميروس الأعلى ذا الصبغة الأرستقراطية، المتمثل في الشجاعة في المعركة، ليس النوعَ البطولّي الوحيَد الممكن، إذ امتدح هسيود . الذي كان هو نفسه فلاحًا . بطولة ونضال الفلاح الطويل والصامت مع الأرض وعناصر الطبيعة.

الشعر الغنائي: بعد حوالي عام 650ق.م، بدأت أشكال شعرية أقصر من الملحمة تسمى القصائد الغنائية تحّل محّل الملحمة. وكان الشعر الغنائي في الأصل يُغنى بمرافقة القيثارة. وكانت معظم القصائد الغنائية تصف المشاعر الشخصية بدلاً من أعمال البطولة التي صَّورها الشعر الملحمي.

وقد أُطْلق على أحد أَنْواع الشعر الغنائي اسم الشعر الإنشادي، وهذا النوع من الشعر شديدُ العاطفية ويتجنب العناصر الوعظية أو الهجائية. وعلى عكس الشعر الرثائي والعَمْبقي* نُظِم الشعر الإنشادي ليغنيه صوتٌ واحدٌ. وكان الشاعر عادةً يغنّي القصائدَ في اجتماعات خاصة تضم الأصدقاء الحميمين. وكانت سافو التي عاشت في القرن السادس قبل الميلاد أشهر شاعرة إنشادية؛ إذ لم يستطع أي شعر حب إغريقي أن يضاهي عاطفة ومشاعر شِعرها المأساوي. وقد ألّف شعراء غنائيون آخرون قصائد غنائية كورالية* غنتها جماعات بمصاحبة الموسيقى والرقص. وكانت قصيدة الإبينكيون*، وهي قصيدة غنائية كورالية جدية تُؤلّف لتكريم المنتصر في ألعاب القوى، نوعًا شعريًا شائعًا. وتُعتبر قصائد النصر التي كتبها بندار تحفًا من الشعر الكورالي. ومن مؤلفي الشعر الكورالي: و ستسيكورس و سيمونيديس و أوفسيوس.

الشعر الرثائي: يرتبط هذا الشعر بالشعر الغنائي، وكانت القصائد الرثائية تتألف من مقاطع شعرية مؤلفة من بيتين، بيت سداسي التفعيلة يتناوب مع بيت خماسي التفعيلة .وتتألف الأبيات

---

* – قصيدة الثيوغونيا تبحث كما يزعمون في أصل الآلهة وانحدارهم.

*– الشعر العنبقي: هو الشعر غير المقفى في الشعر الغربي.

*– الشعر الكورالي نوع غنائي إغريقي قديم أبدعه الشاعر ألكمان في القرن السابع قبل الميلاد.

* – قصيدة الأبينيكون: قصيدة كورالية تؤلف وتلقى لتكريم المنتصر في ألعاب القوى.

السداسية من ست تفعيلات أو وحدات جرسية، بينما تتألف الأبيات الخماسية من خمس تفعيلات. ومن أشهر شعراء الرثاء كالينوس، ثيوجنيس. ويشبه الشعر العَمْبَقي أيضًا الشعر الغنائي، ويكتب بالوزن العَمْبَقي، وهو تفعيلات عروضية تتألف من مقطع قصير يتلوه آخر طويل .وقد عبّر الكثير من الشعر العمبقي عن مشاعر الشاعر الغاضبة. ويُعتبر ارخيلوخوس وسيمونيديس وهيبوناكس أشهر ثلاثة شعراء عمبقيين.